مقدمتان في علوم القرآن

وهما

مقدمة كتاب المباني ، ومقدمة أبن عطية

نشرهما من المخطوطات المحفوظة

في دار الكتب ببرلين ، ودار الكتب المصرية

ووقف على تصحيحهما وطبعهما

الأستاذ المستشرق الدكتور

أرثر جفري

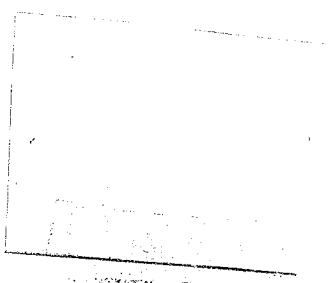

الناشر مكتبة الخانجي

ص.ب ١٣٧٥ مصر

١٩٥٤ م

الإهداء

لذكرى المرحوم الأستاذ

جتسهلف برجشتراسر

تصدير

هاتان الرسالتان نقدمهما الآن لأصدقائنا فى الشرق والغرب ، أعددناهما تلبية لرغبة عبر عنهـا الأستاذ برجشتراسر ، أثناء إقامته فى مصر قبل انتقاله إلى الرفيق الأعلى بسنتين . وقد كان حينئذ يبحث معى فى تاريخ القرآن ، وتطور قراءاته من أيام الخلفاء الراشدين إلى قراءة حفص المشهورة الموجودة فى مصاحفنا المتداولة بين أيدينا ؛ وقد ساء فى عينيه أنه لا يوجد سبيل إلى الإفادة من هاتين الرسالتين ، وهما : مقدمة كتاب المبانى ، ومقدمة ابن عطية لتفسيره المعروف .

وقد استعمل المستشرق الألمانى الشهير نولدكى هاتين الرسالتين فى أبحاثه فى تاريخ القرآن ، وكذلك استعملهما من بعده تلميذه المستشرق شوالى ونظراً لأهميتهما قصد برجشتراسر نشرهما معتمداً على المخطوطات المحفوظة فى برلين ، بعد أن يتم نشر كتاب (غاية النهاية فى طبقات القراء) لشمس الدين محمد بن الجزرى . ولكن ظروفاً قاسية حالت دون إنجاز قصده ، وقد منعتنى الأحوال العالمية من أن أسير قدما نحو ما يتمم رغبته . وقد كان من حسن حظى ، والحمد لله ، أن أمكننى فيما بعد أن أحصل على صور المخطوطتين المحفوظتين سابقاً فى دار الكتب فى برلين بواسطة صديقنا الدكتور كريمر ، وعناية أمين مكتبة جامعة تو بنغن بألمانيا وحسن اهتمامه . و بناء على ذلك فها نحن نجرؤ على أن نقدم هاتين الرسالتين بين أيدى الذين يشتغلون بالعلوم القرآنية .

أما مؤلف كتاب المبانى فهو غير معروف ، لأن الصحيفة الأولى من النسخة الوحيدة التى بين أيدينا قد فقدت ، ويذكر المؤلف فى الصحيفة الثانية من المخطوطة : أنه بدأ فى تأليف كتابه فى سنة أربعمائة وخمس وعشرين من الهجرة ، وسماه (كتاب المبانى فى نظم المعانى) وهو تفسير القرآن الكريم الذى صدّره بمقدمة فى عشرة أبواب . ويظهر لنا من لغته وأساليده أنه من علماء المغرب .

وكثيراً ما نجد أن ما يدلى به ، يحلو الأمور الغامضة الواردة فى كتب أبى عثمان الدانى القرطبى المنتشرة بيننا ، وتضيف الكثير إلى معرفتنا بما كان يلقنه علماء المغرب فى العلوم القرآنية . وقد ذكر المؤلف فى رسالته مصنفين آخرين ، وهما كتاب (الإبانة والإعراب) وكتاب (الدرر فى ترفيع السور) ولكننا لم نجد أثراً لهما فى فهارس خزانات المخطوطات .

أما مصنف الرسالة الثانية فهو من أهل المغرب أيضاً ؛ وهو : عبد الحق بن أبى بكر بن عبد الملك الغرناطى بن عطية ؛ وكانت وفاته حوالى سنة ٥٤٣ هـ ، أو نحو ذلك . وتوجد ترجمة له فى كتاب (القلائد) لابن خاقان ص ٢٣٩ — ٢٤٧ ، و (البغية) للسيوطى ص ٤٩ ، وكتاب (الصلة) لابن بشكوال ص ٨٣٥ . وقد صنف تفسيره المسمى (الجامع المحرر الصحيح الوجيز فى تفسير القرآن العزيز) فى الأندلس ، وصدره بمقدمة فى علوم القرآن . وكان تفسيره هذا كما هو معلوم أصلاً لكثير مما اشتهر به القرطبى فى كتابه (الجامع لأحكام القرآن) الذى طبع فى مصر فى عشرين مجلداً سنة ١٩٣٣ — ١٩٥٠ . هذا نفسه دليل ذامغ على الأهمية العظمى التى لهذا المؤلف ، وعلى ضرورة نشر رسالته هذه .

وقد استعملنا فى نشر هاتين الرسالتين النسخة المخطوطة الوحيدة من كتاب المبانى المحفوظة تحت رقم ١٠٣ فتشتين فى دار الكتب فى برلين ، وكذلك استعملنا ثلاث نسخ من مقدمة ابن عطية . الأولى فى برلين رقم ٤٠٨ سبرنجر ، والثانية فى المكتبة التيمورية رقم ١٦٨ ، والثالثة فى دار الكتب المصرية رقم ب ٢٥٠٣١

ومن حسن حظى أن أخص بالشكر الجزيل صديقى العالم العلامة فضيلة الشيخ سيد نوار الذى قرأ معى أصول الرسالتين وشرح لى كثيراً من التباساتهما ، والدكتور بطرس عبد الملك الذى تفضل فسمح لى بأن أنهل من ينابيع علمه ومعرفته ، و بفضل مساعدتهما لى وفقت إلى تصحيح الرسالتين ، وكذلك أمكن بفضل تشجيع مكتبة الخانجى ، و إقدامها ، ونشاطها ، ومثابرتها ، أن أقدم هذا الكتاب بين أيدى المشتغلين بهذه الموضوعات ، و بالله التوفيق .

بسم الله الرحمن الرحيم

[. . . . .][1] غرف الجنان ، وزوّجهم بالخيّرات الحسان ، المضارعات للياقوت والمرْجان ، ويمنع من أعرض عنه اشتغالاً بالعِصْيان ، فيهوى بهم إلى أسفل المهاوى والخسران ، وذلك : لأنه كلام الملك الديان ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، لأنه محفوظ بالحجة والسلطان ، محروسٌ عن مَكايد أهل العنود والطغيان ، فتبارك الله ذو النعمة والإحسان ، والفضل والامتنان ، خالق الجان والإنسان ، وله الشكر الدائم ، والذكر اللازم ، ما اختلف الملوان ، ومرجَ البحران ، وتقلب فى حكمه الثقلان .

أما بعد : فإن الله تعالى أنعم على هذه الأمة بالقرآن العزيز الجليل ، وجعله سبيلاً إليه ، مقروناً بالحجة والدّليل ، أكرم به رسوله الأمين ، وسماه صراطه المستبين ، وقرّع العرب بالإتيان بمثله ، أو ببعض منه إن لم يقدروا على كله ، وسمّاه بأسامى محمودة ؛ وضمنه معانى غير معدودة .

وكان : مما سماه به بعد وصفه بأحسن الحديث : المثانى . كما قال الله تعالى : (س ٣٩ آ ٢٣) « اللهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَاباً مُتَشَابِهاً مَثَانِيَ » . فكما أن ظاهره حجة على فصحاء العرب بنظمه ، فكذلك باطنه حجة على علماء العجم بحكمه وعلمه ، وكما أن ظاهره مربوط بنظم لايتطرق إليه عيب[2] ، فكذلك باطنه مبسوط بحكم لاتبقى معه مادّة لريب .

وكما أن ظاهر نظمه لو وقع فيه خللٌ لكان للطاعنين فيه مقال . فكذلك إن وقع فى نَظْم معانيه زَلل كان للمعرضين عنه مجال . وإليه أشار بقوله سبحانه (س ٤١ آ ٤٢) « لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ » أراد ، والله أعلم ، من جهة نظم ألفاظه ولا من جهة أحكامه ومعانيه ولكن هذا علم

(١) الصحيفة الأولى مفقودة من الأصل .
(٢) فى الأصل : بغيب .

خاص يختص الله به من يشاء فيهديه إلى معرفة طرق منه دالة على منازل شرف به وعنه ، وهو الذى قال تعالى (س ٢٩ آ ٤٩) « بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ » .

ولعمرى قد كنت شرعت فى باب الظاهر بكتب ألفتها فى فنونه ، وأوردت فى كل واحد منها ما هو الأليق فيه من عَزيزه وعيونه ، وكنت أشرت فى بعضها إلى احتياج طالب هـذا الباب إلى كتاب أستخرجه فيه ، ووعدته استخراج ذلك بمصادره ومبانيه ، وأحببت بعدَ ذلك أن أشرع فى إنجاز ما وعدت ، والوفاء بما عَهِدتُ ، فقد قيل : أنجز حرّ ما وعد . بكتاب أولفه فى معانيه ، والإبانة عن أسانيده ومبادئه ، وأخدم كتاب الله تعالى خدمة قلّ فيها المشاركون ، وكثر لها التاركون ، وابتدأت بالأخذ فى تأليفه ، واستخراجه يوم الأحد غرة شعبان سنة خمس وعشرين وأربعمائة ، بعد الاستخارة والإخلاص فى الدعاء ، ومقارنة الدعاء بالثناء لأن يوفقنى ويسددنى ، ويلهمنى ويرشدنى ، ويُسَهِّل علىّ سبيل ذلك ، ويسر لى المداخل والمسالك ، فإنه لا يوجد ذلك إلاّ بتوفيقه وتيسيره وتطويقه ، وحمل السّائل على تحقيقه ، إذ المرجع فى ذلك إلى بحور الخواطر لا إلى صدور الدفاتر ، والله وليُّ التوفيق ، وبيده الخير كله وهُوَ على كل شىء قدير .

واعلم : أن لكل شىء مقدمة وأساساً ، عقلاً كان ذلك أو قياساً ، والأخذ فى الشىء من مقدمته أوعب له برمته من الأخذ بطرف منه أو وسط ، لأن ذلك مما يؤدّى إلى إجحاف أو شطط ، وجعلت لهذا الباب مقدمات ومبانى تتضمن ماقصدت له من المعانى وسميت هـذا الكتاب : « كتاب المبانى لنظم المعانى » ومقدماتها ومبانيها عشرة فصول . كل فصل منها تتصل به فوائد وأبواب ، ثم يكون الفصل الحادى عشر أصل الكتاب وعمدة هذا الباب .

الفصل الأول : فى ذكر ترتيب نزول القرآن ، وبيان المكى والمدنى وما قيل فيه .

الفصل الثانى : فى كيفية جمع المصاحف والسبب المؤدى إلى ذلك ، وما قيل فيه .

الفصل الثالث : فى بيان أن القرآن تكلم الله به على هذا الترتيب الذى هو فى أيدينا اليوم ، لا على ترتيب النزول .

الفصل الرابع : فيما ادعوا على المصحف من الزيادة والنقصان ، والغلط والنسيان .

الفصل الخامس : فى اختلاف نُسَخ المصاحف ، والقول فى كيفيتها .

الفصل السادس : فى اختلاف عدد السور وإحصائها .

الفصل السابع : فى ذكر التفسير والتأويل ، والمحكم والمتشابه وَمَا يحتاج إليه به .

الفصل الثامن : فى ذكر من تحرج عن التفسير ، ومن لم يتحرج وجواز استنباط معانيه على الشرائط اللغوية ، واجتهاد المجتهدين فى أحكام القرآن المختلف فى تأويلها .

الفصل التاسع : فى نزول القرآن على سبعة أحرف ، وما قيل فى معانيه .

الفصل العاشر : فى ذكر تنزيل الكتب ، وأجزاء القرآن ، وعدد الآيات والكلمات والحروف . ولكل فصل من هذه الفصول كتب ومقالات اختصرناها فى كتابنا هـذا . ومن أراد الإبلاغ فيها فعليه بكتبنا المؤلفة فى كل باب منها فإن الأئمة الماضين رحمةُ الله عليهم قد بالغوا فيها ونصحُوا ، ودفعوا عن كتاب الله تعالى ونَضَحوا .

أسأل الله جلت عظمته ، وعزت قدرته ، أن يجعل سعيى له ، ويعصمنى من الخطأ والخطل وركوب الباطل فى القول والعمل إنه لطيف خبير .

* * *

الفصل الأول

في ذكر ترتيب نزول القرآن

اعلم أيدك الله بتوفيقه ، وهداك إلى سبيل الخير في تحقيقه ، انا إنما ابتدأنا كتابنا هذا بذكر هذا الفصل لئلا يظن الجاهل انا أغفلنا عنه ، أو قصر علمنا منه ، أو انه وقف من ذلك على ما لا يقف عليه غيره فتناهى إلى غيره خبره .

أخبرنا الإمام أبو عبد الله محمد بن على رضى الله عنه وأرضاه ، وجعل الجنة منقلبه ومأواه قال : أخبرنا أبو النضر محمد بن على الطالقانىّ قال : حدثنا الشيخ أبو سهل محمد بن محمد بن على الطالقانى الانمارى رحمه الله وذكره فى كتاب فيه ما فيه ، وأخبرنى الشيخ أبو القاسم عبد الله بن محمشاذ رضى الله عنه بهراة قال : أجاز لى الشيخ أبو سهل محمد بن محمد بن على الأنمارىّ بكتاب فيه مافيه قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن سليم قال : حدثنا صالح بن محمد الترمذى قال : حدثنا محمد بن مروان الكلبى ، عن أبى صالح ، عن أبن عباس قال : إن أول شىء نزل بمكة : (س٩٦) إقرأ باسم ربك ، ثم : (س٦٨) نون والقلم ، ثم : (س٩٣) والضحى ، ثم : (س ٧٣) يأيها المزمل ، ثم : (س ٧٤) يأيها المدثر ، ثم : (س ١١١) تبت يدا أبى لهب ، ثم : (س ٨١) إذا الشمس كورت ، ثم : (س٨٧) سبح اسم ربك ؛ ثم : (س ٩٢) والليل إذا يغشى ، ثم: (س٨٩) والفجر ، ثم : (س ٩٤) ألم نشرح لك صدرك . ثم : (س ١٠٣) والعصر ، ثم : (س ١٠٨) إنا أعطيناك ، ثم : (س ١٠٢) الهكم ، ثم : (س ١٠٧) أرأيت الذى ، ثم : (س ١٠٥) ألم تر كيف فعل ، ثم : (س ١٠٩) قل يأيها الكافرون ، ثم (س ١١٢) : قل هو الله أحد ، ثم : (س ٥٣) : والنجم ، ثم : (س ٨٠) عبس وتولى ، ثم (س ٩٧) : إنا أنزلناه ، ثم :(س٢٢) الحج ، ثم : (س٩١) والشمس وضحاها ، ثم : (س ٨٥) والسماء ذات البروج ،ثم (س ٩٥) التين والزيتون ،ثم: (س ١٠٦)

لإيلاف ، ثم (س ١٠١) : القارعة ، ثم : (س ٧٥) لا أقسم بيوم القيامة ، ثم (س١٠٤) : ويل لكل همزة ،ثم (س٧٧) والمرسلات عرفا ، ثم (س٥٠) : ق والقرآن ، ثم (س٩٠) : لا اقسم بهذا البلد ، ثم (س٨٦) : والسماء والطارق ، ثم (س٥٤) اقتربت الساعة ،ثم(س٣٨) : ص والقرآن ، ثم (س٧) الأعراف ، ثم (س ٧٢) : قل أوحى،ثم (س٣٦) : يسن والقرآن ، ثم (س٢٥) : الفرقان ، ثم (س ٣٥) : الملائكة ، ثم (س ١٩) : سورة مريم ، ثم (س ٢٠) : سورة موسى ،ثم (س ٢٦) : الشعراء ، ثم (س ٢٧) : النمل ، ثم (س ٢٨) : القصص ، ثم (س ١٧) : سورة بنى إسرائيل ؛ ثم (س ١٠) : سورة يونس ، ثم (س ١١) : سورة هود ، ثم (س ١٢) سورة يوسف ، ثم (س ١٥) : الحجر ، ثم (س ٦) : الأنعام ؛ ثم (س ٣٧) : الصافات ، ثم (س ٣١) : لقمان ، ثم (س٣٤) : سورة سبأ ، ثم (س٣٩) : الغرف ، يعنى : تنزيل الزمر ، ثم (س ٤٠) : حم المؤمن ، ثم (س ٤١) : حم السجدة ، ثم (س ٤٢) : عسق ، ثم (س ٤٣) : الزخرف ، ثم (س ٤٤) الدخان ، ثم (س ٤٥) : الجاثية ، ثم : (س ٤٦) الأحقاف ، ثم (س ٥١) الذاريات ، ثم (س ٨٨) : هل اتاك ثم (س ١٨) : الكهف ، ثم : (س ١٦) النحل ، ثم (س ٧١) : سورة نوح ، ثم (س ١٤) : إبراهيم ، ثم : (س ٥٤) اقتربت[1]، ثم (س٢١) : الأنبياء ، ثم (س ٢٣) : المؤمنون ، ثم (س ٣٢) الم السجدة ، ثم (س ١٣) : الرعد ، ثم (س ٥٢) : الطور ، ثم (س ٦٧) : تبارك الملك ، ثم (س ٦٩) : الحاقة ، ثم (س ٧٠) : سأل سائل ، ثم (س٧٨) : عم يتساءلون ثم (س ٧٩) : سورة النازعات ، ثم (س ٨٢) : إذا السماء انفطرت ، ثم (س ٨٤) : إذا السماء انشقت ، ثم (س ٣٠) : سورة الروم ، ثم (س ٢٩) : العنكبوت . وهن ثلاث وثمانون سورة مما نزلت بمكة على النبى صلى الله عليه وسلم .

(١) كذلك فى الأصل : والمراد س ٥٥ الرحمن .